

القراءة خارج الدائرة

يميل الناس إلى قراءة ما يعجبهم من أفكار ولهم يحبون من كتّاب لعدة أسباب؛ منها عدم رغبتهم في تغيير مواقفهم وتصوراتهم للواقع؛ لما يتطلبه ذلك من جهد كبير وربما إعادة تموضع في الخارطة الاجتماعية والفكرية. كما أن القراءة للآخر تتطلب جهودًا ذهنية كبيرة من أجل استيعابها والسير في ركابها، وهو ما يتجنبه أكثر الناس.

ويعد هذا النوع من التوجه نوعًا من الاجترار الفكري والثقافي الذي يعيد تدوير الأفكار وإنتاجها بأشكال متنوعة لكن بمضمون واحد، وهو بدوره ما يسمى مراوحة المكان الثقافي والفكري. ويسهم هذا التوجه إلى حد بعيد في ترسيخ حال الجمود في السوح الفكرية، ولا يتيح مجالًا لزحزة الواقع الثقافي أو إحداث خلخلة إيجابية فيه على الأقل.

لذا يقال إن أس التطور الإنساني في المجالات العلمية والتكنولوجية هو أعمال الفكر ومحاولة الانتقال من موضع لآخر من خلال نقد ما هو قائم، والتفتيش عن الجديد في كل أمر، وهو ديدن الحياة التي لا تقبل الجمود عند مكان ما، مع عدم المساس بالمسلمات الدينية.

وهكذا فإن على القراء أن يتجولوا بين مختلف المدارس الفكرية والثقافية وحتى الدينية بحثًا وتنقيدًا من أجل الاطلاع عليها ونقدها من جهة، ومن أجل الاستفادة مما قد تتضمنه من جوانب إيجابية لا تخلو منها أي مدرسة (فالحكمة صالمة المؤمن، فحيث وجدها فهو أحقُّ بها) كما روي في الحديث، من جهة أخرى.

حتى في الجوانب الأدبية بصنوفها المتعددة يُنصح القراء بأن يتجولوا بين مدارسها ومشاربها المختلفة، حتى ما لا يَهْوَوُ ونَهَا منها، لأن من شأن ذلك أن يغني تجاربهم ويزيدها ثراءً وعمقًا. وقد آمن بذلك عدد من كبار الأدباء والمفكرين، كان منهم مثلاً عميد الأدب العربي الدكتور طه حسين الذي قال إنه رغم عدم ميله ومحبه للشاعر الكبير أبي الطيب المتنبي فإنه أمر على القراءة له والاطلاع على شعره. يقول عن ذلك في كتابه (مع المتنبي: 9): ولعله بعيد كل البعد عن أن يبلغ من نفسي منزلة الحب أو الإيثار (يقصد المتنبي).. وأكبر الطن أني إنما فعلت ذلك لأنني أحب أن أعاند نفسي وأخذها من حين إلى حين ببعض ما تكره من الأمر. وقد قلت في غير هذا الموضع إنني لست من المحبين للمتنبي ولا الشغوفين بشخصه وفنّه، فلم أجد بأسًا في أن أشق على نفسي أثناء

الراحة، وأثقل عليها حين تبغض الإثقال عليها... ويضيف (ص9): لم أجد بأساً بأن أثقل على نفسي أثناء هذا كله بالتحدث إلى المتنبّي والتحدث عنه، والاستماع له، والنظر فيه. والناس يعرفون أنني شديد العناد للناس، فليعرفوا أنني شديد العناد لنفسي كذلك.

*وإنني أخبر عن حالي ما أشبع من مطالعة الكتب، وإذا رأيت كتاباً لم أره فكأنني وقعت على كنز. جمال الدين ابن الجوزي